

القدس تناديكم.. والأقصى يستصرخكم



رسالة من محمد مهدي عاكف - المرشد العام للإخوان المسلمين

بسم الله، والحمد لله، والصلوة والسلام على رسول الله..

يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيهِ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء).

هذه الأرض المباركة، وفي قلبها القدس، تنادي اليوم كل مسلم، بل كل حر شريف، أن يقف وقفه مع نفسه ومع الآخرين، ليسأل نفسه: ماذا فعلت لإنقاذ القدس وفلسطين؟!

وهذا المسجد المبارك.. أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين. يستصرخ كل مسلم، ليقف مع نفسه وقفه صريحةً ليسأل: ماذا قدمت لتحرير الأقصى من الأسر، بل لإنقاذه من المحاولات المستميتة الرامية لتصديع أركانه، تمهيداً لهدمه وبناء الهيكل المزعوم على أنقاضه؟!

إن أول واجبات الفرد أن يدرك أبعاد هذه القضية.. قضية الأقصى والقدس، وأن يسترجع تاريخ تلك المدينة المقدسة.. مدينة السلام.

ليست هذه أول مرة تتعرض فيها القدس للاحتلال أو يتعرض المسجد الأقصى للتدمير والحرق، وأشهر تلك التواریخ هو ما يعرفه الجميع من إقامة إمارات إفرنجية (صليبية) في شواطئ البحر المتوسط من تركيا إلى فلسطين، واستمرت طوال مائتي عام؛ حتى قام البطل المسلم الكردي صلاح الدين الأيوبي بتحريرها، ودخل المسجد متواضعًا خاشعًا لله تعالى في السابع والعشرين من رجب الفرد عام 582 هجرية.

لقد تمكّن الصليبيون من احتلال فلسطين، وسيطروا على القدس (493هـ - 1099م)، بعد أن خاضوا في دماء المسلمين، وقتلوا في القدس فقط حوالي 70 ألفًا، والسبب— رغم تفوق المسلمين وقتها حضارياً وعلمياً— كان التشرذم والصراعات السياسية والحروب الداخلية.

لقد رفع صلاح الدين الأيوبي راية الجهاد، وأعاد توحيد الشام ومصر تحت قيادته، بعد أن أنهى حكم الدولة الفاطمية التي تعاونت آنذاك مع الإمارات الصليبية على سواحل المتوسط، وخاض عدة معارك، كان أهمها معركة "حطين" في 24 ربيع آخر 1187م، وهي المعركة الفاصلة التي أدت إلى تحطيم الوجود الصليبي، وفتح بيت المقدس بعد 88 عاماً من الحكم الصليبي.

إلا أنه بعد وفاة صلاح الدين، وبسبب الصراعات الداخلية في الدولة الأيوبيّة سيطر الصليبيون مرةً أخرى على القدس معظم الفترة بين 626هـ - 646هـ؛ إلى أن استقرَّ الوضع لل المسلمين، وعادت نهائياً إلى حضرة الإسلام حتى دَسَّها اللورد اللنبي بقواته، وتم الاحتلال البريطاني لفلسطين 1917م، وقال قوله الشهير أمام قبر صلاح الدين في دمشق: "ها قد عدنا يا صلاح الدين".

ولقد استمرَّ الحكم الإسلامي لفلسطين نحوً من 1200 سنة منذ الفتح 27 جمادى الأولى 13هـ / 30 يوليو 634م حتى عام 1917م.

والى اليوم تتعرض القدس لحملة تهويد؛ بهدف تغيير ملامحها، وطرد سكانها العرب، مسلمين وموسيحيين؛ بغية تكريس احتلالها وتشييدها كعاصمة لهذا الكيان العنصري المغتصب لأرض فلسطين.

وتتآمر القوى الكبرى كلها لتنفيذ تلك الخطة؛ إما بالدعم المادي والسياسي الكامل، كالولايات المتحدة الأمريكية، أو بالصمت والتواطؤ مثل الاتحاد الأوروبي وروسيا، أو بالعجز والظهور بالعجز مثل الدول العربية والحكومات الإسلامية.

وإذا كانت القوى العالمية تُسوق مبررات تاريجيةً أو دينيةً أو سياسيةً زائفًا، أو كان لها مصالحها الاستراتيجية والاقتصادية؛ فإن العرب والمسلمين والموسيحيين الشرقيين لا يجب أن تنطلي عليهم مثل هذه المبررات، ولا تغيب عنهم هذه المصالح، وهم بالتأكيد يتحملون المسئولية الكاملة عن ضعفهم وعجزهم.

المؤامرة مفضوحة، والثّخب السياسية والاقتصادية والثقافية متواطئة، والعامّة لا يصحُّ لهم أن يسيروا مغمضي العيون خلف قادة وحكام يوردونهم موارد

الهلاك بسياسات فاشلة؛ أَدَّتْ على مدار قرن من الزمان إلى التمكين للعدو الصهيوني.

إن نضال الشعوب العربية والإسلامية يجب أن يبدأ باسترداد حرياتهم وكرامتهم، وأن يجبروا الحكام وال منتخب على الاستماع لصوتهم.. صوت الحق.

إن الحكام الذين فرَّقوا الأمة شيعاً ودوبلاتٍ وما زالواـ ومعهم نخب سياسية يعملون على مزيد من تقسيم الأمة والدول الوطنية إلى كيانات طائفية وإثنية وعرقية وجهوية؛ من أجل التمكين لقوة واحدة وحيدة هي القوة الصهيونية.. هؤلاء جميعاً يجب أن تلفظهم الأمة، وأن تتصدى لهم الشعوب.

إن وحدة الأمة العربية وتلاحم الأمة الإسلامية وتماسك النسيج الوطني لكل دولة وطنية.. هي المقدمة الأولية لاسترداد القدس، والوقوف ضد الهجمة الصهيونية على القدس ومحاولاتهم المستمرة لتهويدها وهدم المسجد الأقصى المبارك.

إن اعتزاز الأمة العربية برسالتها الإسلامية العظيمة، وحملها لدعوة القرآن الكريم، وعلوّ همتها للنهوض بمجتمعاتها، وإيقاظ النفوس وعلاج الأرواح قبل علاج الأبدان؛ هو الطريق السليم لوضع العرب والمسلمين على الخريطة العالمية تصديقاً للقول الكريم: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزُنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: 139).

لقد اجتمع وزراء خارجية ستة دول عربية منذ أيام في عمان عاصمة الأردن الشقيقة للتداول بشأن زيارة الملك عبد الله الثاني إلى واشنطن كأول زعيم عربي يزور "أوباما" في عهد الإدارة الأمريكية الجديدة..

ماذا كانت حصيلة لقاءاتهم؟ كانت التمسك بمبادرة السلام العربية التي رفضها العدو الصهيوني!

لقد رفض شارون مبادرة الملك عبد الله خادم الحرمين الشريفين، والتي أقرها القادة العرب في قمة بيروت عام 2002، والتي جاءت في سياق الحرب على الإرهاب بعد أحداث سبتمبر والإرهاب الأمريكي للعالم كله وللسعودية بالذات؛ بعد اتهام 4 أفراد من اتهمتهم أمريكا بأحداث سبتمبر، على الرغم من عدم وجود تحقیقات معلنة، ولا محاكم عادلة، ولا وضوح في الرؤية تجاه تلك الأحداث!.

لقد فرض شارون 14 تعديلاً أفرغت المبادرةـ الضعيفة أساساًـ من مضمونها الحقيقي، ووافقت الإدارة الأمريكية على تلك الشروط، ثم كان إعلان الرئيس الأمريكي السابقـ الذي لم يغيره اللاحقـ عن يهودية الدولة الصهيونية؛ بما يعني تفريغ فلسطين والتاريخ من مواطنها العرب الأصليين.

ومع ذلك كله ما زال العرب متّمسكين بمبادرة فقدت كل إمكانية لتطبيقها، لماذا؟! ببساطة لأن القادة العرب لا يملكون البديل أو لا يقدرون على تكاليف التصدي للمؤامرة على فلسطين والقدس والمقاومة.

لقد انتهت الحرب على الإرهاب، كما أعلنت وزيرة الخارجية الأمريكية، وعلى الرغم من ذلك بدأت الحرب على المقاومة الشجاعة ضد العدو الصهيوني باسم مقاومة الإرهاب في بلاد العرب، وباتت التهم تلاحق فصائل المقاومة؛ بأنها تهدّد الأمن الوطني لثالث الدولة أو الأمن القومي العربي بالانحياز إلى دولة إسلامية غير عربية؛ مما أشعل حرباً داخلية أطربت العدو الصهيوني، وزادته فرحاً، ولم يتأنّ في صبّ الزيت على نار الفتنة؛ يريد إشعالاً لفتنة (عربية فارسية)، وأخرى (سنية شيعية)، وثالثة (إسلامية مسيحية)، ورابعة (عربة إفريقية)، وهو المستفيد الوحيد من إثارة كل تلك النزعات الدينية والطائفية والمذهبية والعرقية.

هذا ما لدى القادة العرب.. ولذلك لا يمكن التعويل على جهودهم لإنقاذ القدس أو تحرير فلسطين ما لم تتحرّر إرادتهم من الهيمنة الأمريكية والأوروبية والصهيونية، وما لم تتمتع شعوبهم بالحرية الحقيقة لاختيار حكومات حرة غير خاضعة لسلطان أجنبي.

أيها العرب.. أيها المسلمين..

إن القدس تناديكم والمسجد الأقصى يستصرخكم..

إن المقدسيين يطالبونكم - أيها القادة من المسلمين - بدعمهم.

لماذا لا تبادرون بإنشاء صندوق إسلامي لدعم المقدسيين أمام حملة هدم بيوتهم وطردهم وتشريدهم خارج مدينتهم؟!

لماذا لا تنشئون صندوقاً مالياً أهلياً وليس رسمياً؛ لدعم إعمار المسجد الأقصى الشريف؟!

لماذا - أيها العرب والمسلمون - لا تقاطعون رجال الأعمال الذين ضعفت عزيمتهم وخارط قوتهم أمام سحر المال الصهيوني والأمريكي والغربي فتحالّفوا مع العدو الصهيوني لمصالح شخصية ضيقة، على حساب المصلحة العليا للأمة؟!

أما أنت أيها الأخ الحبيب.. فعليك واجبات صعبة في ظل تلك الظروف، وأهمها:

1- أن تعلو همتك فوق كل المثبتات لتغيير نفسك ونفوس من حولك حتى يغيّر الله هذه الأوضاع والأحوال، وتذكر قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد: من الآية 11).

2- أن ترتبط بالله تعالى ارتباطاً إيمانياً قوياً ثابتاً، مستمدًا من قوته قوّة تزيل ضعفك، ومن عرّته عزّة تذهب بذلتكم، ومن غناه غنىًّا يغيّر فكرك، ومن إرادته إرادةً نقوّي بها عزيمتك وتتغلّب بها على عجزك.

3- أن تهتم بفلسطين وقضيتها، وأن تتبع أخبار القدس والأقصى من كل جوانبه، التاريخية والجارية، السياسية والاقتصادية، الجغرافية والديمografية، المقاومة والسياسية؛ لتكون أهلاً لنقل الوعي بالقدس إلى من حولك، وأن تردد على كل الأسئلة وتزيل كل الشبهات.

4- أن تدعم جهاد شعب فلسطين وصمود فصائل المقاومة بكل صور الدعم والإسناد، وأن تستمر على ذلك كله، وتوريثه لمن بعده ومن حولك، فالقضية مضى عليها مائة عام، والأقصى والقدس في الأسر منذ 43 سنة، ولن يحررها إلا أنت أيها القارئ الكريم.. عن أبي أمامة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تزال طائفة من أمتي، على الدين ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من خلفهم إلا ما أصابهم من لأواء، حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك"، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال: "بيت المقدس وأكناف بيت المقدس"، وعن أبي الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أهل الشام وأزواجهم وذرياتهم وعبيدهم وأماؤهم إلى منتهى الجزيرة مرابطون، فمن نزل مدينة من الشام فهو في رباط، أو ثغر من الثغور فهو مجاهد".

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.